التسوية ، بحيث يمكن القول للذين وضعوا شروطا من بينها تعديل الميثاق الوطني أن البرنامج قد جاء بما يختلف عن الميثاق ؟ لا شك في أنه يفعل ذلك .

وهل مر هذا التبديل أمام أعين ممثلي جبهة الرفض في اللجنة السباعية ، ثم في المجلس الوطني ، من غير أن ينتبهوا لمدلوله ؟ أم أنهم انتبهوا ولم يستطيعوا منعه ، أم أنهم انتبهوا ووافقوا ؟ أم أن الأمر كله قد حدث بمجرد الصدفة ؟

أسئلة لا نملك أن نقدم حولها اجابات باتة ، ما دام المعنيون بها يملكون ، من جانبهم ، أن يكذبوها ، وما دامت محاضر مناقشات اللجنة السباعية غير متوفرة ، في ظل عادة دارجة تظهر أن يقال في الاجتماعات المغلقة شيء لا تتوفر ، بالضرورة ، وثائق علنية تثبته . ومع ذلك فمن الممكن القول ، بصورة عامة ، أن ورود التعبير الجديد على النحو الذي ورد عليه ، وبصرف النظر عن المناقشات الداخلية ، ترك هامشاً للمناورة أمام القيادة الفلسطينية على الساحة الدولية كي تجد مدخلا لا يتعارض مع قرارات الأمم المتحدة لطروحاتها الجديدة بعد حرب تشرين . وهو الذي أعطى ، مع نقاط أخرى في البرنامج ، الانطباع الواسع لدى الأطراف المعنية عربياً ودولياً بأن منظمة التحرير قد انعطفت نحو الايجابية في مواقفها ، نابذة نهج الرفض الذي وسم وثائقها في السابق . نقول ذلك بصرف النظر عما اذا كان أسلوب التحايل في الصياغات هو الأسلوب الأفضل لدفع المسيرة الوطنية الى الأمام ، أو أنه أسلوب غير مأمون يولد البلبلة ويخلق الالتباس ويضع الرأي العام الفلسطيني أمام معان متعددة ومتعارضة لنص واحد ، ويشتته .

والشيء الجديد الآخر الذي أدخلته هذه النقطة ، وهو أهم ما في البرنامج على الاطلاق ، هو النص على أن تناضل المنظمة من أجل « اقامة السلطة الوطنية المستقلة المقاتلة على كل جزء من الأرض الفلسطينية التي يتم تحريرها » .

ونستبق سياق المناقشة لنقول : أن صفة « المقاتلة » أضيفت بناء على الحاح ممثلي الرفض في اللجنة السباعية ومن أجل استرضائهم . وكان وضعها، في حينه ، مبعث العديد من التعليقات المتندرة : ذلك أنه لم تحدث في تاريخ أي شعب سابقة الاعلان عن أن سلطته المنشودة ستكون مقاتلة . أما بعيداً عن التندر فان اضافة هذه الصفة جاءت تعبيراً عن رغبة الذين شاءوا أن يستوثقوا من أن اقامة السلطة الوطنية الفلسطينية على جزء من فلسطين لن تكون نهاية المطاف في النضال من أجل استرداد الحقوق الوطنية الفلسطينية الأخرى .

إن صياغة هدف محدود ، أقل من هدف تحرير فلسطين بكاملها ، هو أهم ما وضعه البرنامج . وهو بهذه الصياغة قد كرس ، وبعبارة أدق قد توج ، في وثيقة فلسطينية من هذا المستوى ، القناعات التي أملتها دروس الممارسة العملية للثورة وللحركة الوطنية الفلسطينية منذ نشأتها . وهو أيضاً الذي أكد نبذ النهج السابق : نهج الاصرار على المطلب الشامل ورفض ما هو أقل منه حتى ولو كان خطوة نحوه . وهو نهج لخصته عبارة عامية متندرة : « كلها ، أو بلاها » . ووضع ، في مقابله ، نهجاً ايجابياً يتجه بسداد نحو صياغة أهداف يمكن النضال من أجلها أي يمكن في آخر الأمر تحقيقها ، وحشد القوى لدعم هذا النضال .